شيء جديد

•

انا من السيد الصدر بمنزلة ابنه ولا ازيد .

وذلك ما يوقفني في عرف مجتمعنا المقمط بسلاسل متصلة من العبوديات الاجتماعية عن الاندفاع بـــه ... بالسيد الصدر في ميادينه الفساح العراض .

أما القماط الذي يشد انامليّ فهو ان لي به رحماً ماسة وواشجة قريبة نمى اعراقها أب كريم في سلسلة نسب قصيرة.

ولكني وأنا أدعو إلى التحرر من العبوديات كلها سأكسر هذا القيد الصديء العتيق من قيودنا الاجتماعية الصدئة العتيقة .

سأكسر هـذا القيد باداة جديدة فاكتب عنه حين أكتب بذهنية الـكاتب المتجرد لا بعاطفة الابن يتحدث عن ابيـه بشعور البنوة .

وأي حاجة تدعو إلى اقحام العاطفة فيما يقرأ الناس مني عن سماحة الصدر ولسماحته شخصية (الثائر) وجهاده ؟ وهي شخصية تجعل القريب بالرحم غير قريب، والبعيد غير بعيد لانها تتصل بهما جميعاً اتصالا متساوياً بهذا اللحاظ وعلى هذا القياس .

هتفت الجماهير بحياة (وزارة الثورة) بعد يومين طويلين طافت خلالها الوزارة طوافاً عسيراً فلم تجد غير الصدر (بطل الثورة) موئلا تلجأ اليه ثقة الجماهير وتطمئن لديه وثبة الشعب .

وتلك عظمة الشعب ذاته التي أمدت سماحة الصدر بزعامة عظيمة .

تلك عظمة الشعب لانها آية من آيات وعيه ولفتة من لفتات يقظته الوطنية الباعثة . ولم يكن نداؤه بحياة (وزارة الثورة) نداء مرتجلا بل كان صدى انبعث من اجواء بغداد سنة العشرين وسمائها المحتفظة باسم الصدر ، ورفاق ثورته الميمونة التي جعلت العراق من يومئذ فارس العربية في طماح الاستقلال وآمال السيادة .

انني لاستعرض ميادين البطولات الحمراء تلك التي جند الوطن فيها كتائبه الباسلة للثورة بالاستعمار . ثم أقابل بينها وبين ما حدث من نتائج ذلك فلا أجد توازناً بين التضحيات وبين حكمنا الوطني الذي سمي (استقلالا) لان هذا الاستقلال المسمى كان مغلوباً على امره في اختيار حكوماته .

ثم أنظر في ظروف هذه الوزارة فارى الاسبوع الاخير من كانون الثاني لخص ثورة العشرين بايام معدودات واستثمر جهده ذاك اليوم ، فقطف هذه الثمرة بتشكيل هذه الوزارة الوطنية المنبثقة

من ارادة الشعب في لحظة فائزة .

وينتج من ذلك ان يومنا هذا هو أول يوم في تاريخ العرب الحديث وإلى ذلك يشير هتاف الجماهير « تعيش وزارة الثورة » .

*

شيء جديد

وهل شيء أجد من فوز (الشعب) وهو الملجم منذ ان قد الاستعمار أن يضع في فمه هذه الشكائم الشائكة التي كانت تأ بشكل حكومات ... ووزارات ؟

لا أغالي — والله — فقد كانت الصلة بين الشعب وبين حكوما فيما مضى هي الصلة بين الجواد الاصيل وبين الشكيمة الشائكة دو فرق باسقاط ما للشكيمة من بعض المنافع أحياناً .

ولطالما أهبنا بالقوم — في لين — مرة، وفي قسوة مرات، أن يعترفوا بالشعب ويخرجوا من أبراجهم إلى الواقع . وأردنا لهم أن يحسوا بآلام الامة ويفرحوا في أعيادها، ويتضامنوا معها في موكبها السائر . فيكون ذلك كله أعون لها ولهم على تحقيق رغبات الجميع وبلوغ الغاية من اسعاد هذه البلاد . غير أن الذهنية القديمة كانت تسيطر على سياستهم وتدعوهم الى الكبرياء عن سماع الحق ، وكان الذي يرضيهم أن يتمسكوا بالعناد مسقطين من حسابهم العبر التي نسردها لهم من تاريخنا القديم والحديث حتى كان ماتوقعناه، وحدث ما لم يكن بد من حدوثه نتيجة لاحتكار الأقلية واحتكامها بمقدرات البلاد دون الكثرة الكاثرة ، وهي العمدة في تقرير مصير البلاد فى

اللحظات الفاصلة .

ان الحكومات الماضية كانت تصاغ على أساس حماية المصالح الاجنبية بعيداً عن ارادة الامة . واننا محتاجون في دفع هذه العائلة إلى أن تؤلف حكوماتنا بارادة الامة ولحماية مصالح البلاد .. نحن محتاجون الى ذلك دون انقلاب الا الانقلاب الذي معناه (البعث) .

هذا ما قلته قبل أن يحدث الانقلاب الذي معناه البعث . فلما حدث كان هو (الشيء الجديد) الذي سيظل جديداً في حياتنا مهما تقادم به العهد لانه سيظل عنواناً لبداية حاسمة في انقلاب لم يلجأ الى عنف ولا الى مخالفة دستورية ولا الى ثورة خطرة على نظام الحكم ولا إلى شيء من تلك الجيشات التي لجأ اليها العراق في السنوات الاخيرة نتيجة للاستبداد والاحتكار اللذين أديا الى تلك الجراح الباقية آثارها في قروح تنقضها وتسيل دماءها الذكريات .

انه لشيء جديد حقاً أن يحدث الانقلاب في مثل هذا الوعي القومي المنظم فتنزل عن الحكم وزارة قال لها الشعب : أنزلي .. وترقى إلى الحكم أخرى قال لها الشعب ايضاً : اصعدي ..

ثم يحدث ذلك كله في أيام قليلة تقضي ديون العراق من التأخر ، وتتسع في تاريخ العراق حتى تعبر اجيالاً طوالا دون عنف ولا مخالفة ولا ثورة خطرة .

هذا شيء جديد ارتفع بالعراق إلى القمة وجعل شعبه في الذروة من يقظة الشعوب المنظمة الوعي في هذه الآونة .

وسيكون هذا (الجديد) من ناحية الشعب قاعـــدة لوضع أسس الاستقرار في غدنا السافر الوضاء ، فليكن – من ناحيـــة الحكام –قاعدةلفهم (الطبقة) الحاكمة من الان فصاعداً وستكون بعد هذا الدرس كذلك بحكم يقظة الرأي العام هذه اليقظة الشاملة.

جريدة التيمس تهدد العراق

وردت برقية من لندن تلخص تعليق (التيمس) اللندنية على العلاقات بين العراق وبريطانيا بعد تأليف حكومة الصدر في مقال افتتاحي غمسته بحبر السياسة البريطانية العتيقة دون أن تتأثر بشيء مما يجري الان في العـالم من تيارات الانعتاق والتحرر والانطلاق والسمو في ذلك كلـه عن (انانية) التاجر المساوم على (الحرية) مساومته على السلع والاعراض من المطالب التي يستيقظ فيهـــا الشعور بالذات وحده مجرداً عما للغير من حقوق .

وجاء في هذا التعليق قولها : « كان الغرض من الاتفاق الجديد الذي سعى اليه العراق لا بريطانيا القضاء على جميع الاعتراضات التي اثارتها الوطنية ضد معاهدة ١٩٣٠ ، وليست المصالح البريطانية هي التي ستعاني من فسخ معاهدة (بورتسموث) وانما هي المصالح العراقية .وليس من شك في ان اولئك الذين تولوا السلطة في بغداد بحاجة الى الوقت للتفكير في عواقب الحوادث الاخيرة. ومن الحكمة ان نرجو ان لا يعمـــد الوزراء المسؤولون الى التفكير فقط في وجوب تحسين حظ الشعب العراقي ،بل يجب ان يضعوا تسوية مرضية مع بريطانيا على مصالح العراق » .

هذا نص الخلاصة، وما أدري لعمر الحق اتصدر هذه الجريدة في (غابة) ام تصدر في عاصمة كاندن تدعي انها تهز مهد الحضارات...

اين الحضارة من هذا الاسلوب الرخيص الذي لم يتنفس عليه العلم بنور، ولم يهش له الادب بثغر، ولم تنضح عليه الانسانية بندى، بل انكشف على حقيقته فجاء (همهمة) و (عواء) و (زئيراً).

واين الحضارة من صرير القلم الذي أملى هـــذا التعليق تحت سحابات الضباب وطبقات الدخان، راجعاً القهقرى الى عهده البعيد البعيـد .. السحيق السحيق يوم كان (الزئير) وحده هو السلاح في حيازة المصالح ؟..

حسبك ايتها الزميلة – ولا فخر – فقد تهرأت السياسة تلك يوم كانت تكفي قصاصة منك كهذه تذيع لهجة كهذه ان تفعل الافاعيل، فما نحن في عصر يخدع بهذا (السحر القديم) او يهضمه...

ومن الحسن ان تعلمي بان خوضك في هـذا الموضوع على هذا النحو أمر خارج عن حدود الصحافة الانكليزية التي تريد ان تكون وسيلة للتفاهم بين الشعبين العراقي والانكليزي، لانه خوض في شر مثير من جهة، ولانه تدخل يفسد الطمأنينة والامن والحرية في بلد يسعى الى هذه الاماني دون أن يزاحم احداً عليها او يمنع شعباً منها.

وقد كنت أميل الى الاكتفاء بهذا القدر من التعليق على هذا الفضول لولا اني افضل دائماً التركيز الذي تتجاوزه « التيمس » فيما يتصل بشؤوننا العربية من موضوعاتها، لذلك سألخص الامور التي دار عليها التعليق وأفتي فيها باختصار.

١ – ادعت التيمس ان التخلص من معاهدة سنة الثلاثين كان

السبب في سعي العراق الى تعديلها .

والصحيح ان انكلترا أرادت تجديد معاهدة ألغيت بحكم وثائق فرنسيسكو والضمانات الدولية بعد الحرب لتصون مصالحها الخاصة من جديد وبصيغة استعمارية قال العراق فيها كلمته .

٢ - أرادت التيمس ان توهم بان مصالح العراق ستتأثر بفسخ معاهدة بورتسموث دون مصالح بريطانيا .

والجواب على هذا ان هذه المعاهدة قاصرة على مصالح بريطانيا وليس فيها من مصالح العراق الا التي يغني الله فيها عن بريطانيا .

٣ - هددت حكومة الشعب بوخامة عاقبة الحركة المباركة.

وقد أجبنا على ذلك في مناقشتنا خطاب المستر بيفن . ولنعلم (التيمس) التي يبدو انها ترد علينا بهذا التعليق أن سياسة الرق قد فاتها القطار ،وان العاقبة مأمونة في مثل هذه اليقظة العربية الشاملة.

ومن الادب الذي لا تعرفه التيمس ان نلفتها الى واجبها في مخاطبة الحكومات الشعبية التي تسمو عن مثل هذا الاسلوب .

٤ - عرضت إلى التفكير بمصالح بريطانيا وطلبت الى الحكومة أن تعنى بها كما تعنى بمصالح العراق .

وما أدرى من جعل للانكليزي أن يتدلل بمثل هذه السماجة ؟ ولئن سلمنا هذا العبء المفروض على العالم الشقي فماذا تعني؟ امصالحها في بلادها ؟ ومن عارضها في ذلك ؟ أم مصالحهـــا في بلادنا ؟ وماذا أعدت لذلك من رصيد يوازنه في مصالحنا ؟

إننا نريد التبادل ولكن على أساس (الند للند) كما نفهم نحن هذا الاساس ، لا كما تفهمه هي باسلوبها الساخر المغفل .